في كل ليلة حكاية

١٨

حبة أنبتت سبع سنابل

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

المَالُ: نِعْمةٌ أم نقْمةٌ؟!

المُهندسُ (أَحمَد) يعملُ في مَجالاتِ الإعمارِ والإنشَاءِ ، ولهُ احتكاكٌ كَبيرٌ مَعَ أَصحابِ المَلايينِ ، لذلكَ لديهِ خِبرَةٌ واسعةٌ في طُرقِ إنفاقِ المَالِ عندهُم ، بَل وَفِي التَّبذيرِ وَالإسرافِ وَما إلى هُنالكَ..

وَفِي هَذا اليَوم خَرجَ (أَحمَد) مَع ابنِ خَالتهِ (سَعيد) إلى البُستانِ المُحيطِ بالمَنزلِ ، وَكانتِ الشَّمسُ قَد ودَّعت الكُرةَ الأرضيَّةَ، وانطلقتْ تَدورُ فِي هَذا الكَونِ الفَسيحِ ، وَإذا بِهما يَسْمَعَانِ أَصْواتاً تَأتِي من الزَّاويةِ الشَّماليَّةِ للبستانِ ، فَقالَ (سَعيدٌ): لعلَّ هؤلاءِ هُم (سَامي) وَ (أسماء)

وَ (سَمِيرة) وَ (ابتهَال) ، فَقدْ رأيتهُم قَبْلَ أكثر مِن سَاعةٍ ، وَكلٌّ مِنهم يَحملُ في يديهِ بَعضَ الأَغراضِ ، وَهم يَخرجُونَ من الصَّالونِ..

وَتقدَّم (سَعيد) مَعَ (أَحمَد).. فَوجدُوا تَوقُّعَ (سَعيد) مُطابِقاً للواقعِ..

وَلمَّا جَلسُوا مَعهم تَحتَ الشَّجرةِ الكَبيرةِ ، سَألَ (سَعيدٌ) المُهندسَ (أحمَد) عَن كَيفيَّةِ إنفاقِ الأَغنياءِ للأَموالِ..؟

وَراحَ (أَحمَد) يتحدَّثُ عن ذَلكُمُ المَوضوعِ بِإسهابٍ ، ويُدعِّم حَديثهُ بالأَرقامِ والإحصائيَّاتِ ، بينمَا كانَ الشَّبابُ يُراقبونَ حَركَات (أَحمَد) وهوَ يتحدَّث بعصبيَّةٍ وَتَوتّرٍ وانزِعَاجٍ، فَسألتْ (سَميرةُ): وَلمَ هَذا الانفِعَالُ يابنَ خَالتي؟ أَجابَ (أَحمَد) وهوَ يفركُ يديهِ ببعضهمَا بَعض: إنَّ المالَ نعمةٌ يُنعِمُ اللهُ بها على بَعضِ عَبادهِ ، فَإذا

اسْتَخْدَمُوا ذلكَ فِي سبيلِ مَنفعةِ النَّاسِ وَخِدمةِ المَشاريعِ الخَيريَّة ، كَانَ المالُ من أَكْبر أَبوابِ الخَيرِ ، وأمَّا إذا استُخدِمَ المالُ لتَحقيقِ الرَّغباتِ والشَّهواتِ ، وبَخلَ بهِ الغنيُّ على الفُقَراءِ ، ولم يُشَاركْ في المَشاريعِ الخَيْريَّةِ ، فالمالُ وبالٌ وَنقمةٌ..

وَفي هَذِهِ الأَثناءِ لحقتْ (سُعادُ) بالرَّكبِ... واستمعتْ إلى أَطرافِ حَديثِ (أحمَد) ، فَقالتْ في تعليقِها:

صَدقتَ يا أحمَدُ ، فالقُرآنُ الكَريمُ قَد ضَربَ لنا مَثلاً عن الأَغنياءِ الذينَ يكنزونَ الأَموالَ ، ثُمَّ لا يُشاركُون بها فِي أيّ طُرقِ النَّفعِ للنَّاسِ.

ضَربَ مَثلاً بِقَارون ـ والذي كَانَ من قَومِ نَبيِّ الله مُوسى عَليهِ السَّلامُ ـ فلمَّا أعطاهُ اللهُ المالَ ، استكبرَ على عِبادِ اللهِ وَقالَ: إنَّني أنا الذي

استَطعتُ عَن طريقِ ذَكائي وَاجْتِهادِي وَعلمِي أَن أُصبِحَ غَنِياً!!

وَلاَ عَلاقةَ لأَحدٍ حتَّى الله بِذلكَ!!

وَكانتِ النَّتيجةُ أَن خسفَ اللهُ بهِ وبدارهِ الأَرْضَ ، ليكونَ عبرةً لمن يَعتَبر ، ولتفهمَ الأجيالُ وَإلى يَوم القِيامةِ أنَّ المالَ كانَ وَبالاً عليهِ وَعلى أَمثالهِ!!

بَينمَا في عَهدِ الرَّعيلِ الأوَّلِ ، بَرزَ من الصَّحابةِ الكبَار رِجَالٌ أَغنياءُ ، لكنَّ المَالَ كَانَ عندهُم وَسيلةً يَستخدمونَها لخدمةِ عِبادِ اللهِ والمسَاهَمةِ في حلِّ مَشاكلِ الفُقراءِ والمَساكين ، وَوسيلةً للمُشَاركةِ في كلِّ ميادينِ الخَيرِ والصَّلاحِ ، ومن تِلْكَ النَّماذجِ (عَبد الرَّحمن بن عَوْف) رضيَ اللهُ عنهُ.

فَقدْ آتاهُ اللهُ المالَ الوفيرَ ، فَمَا كَان منهُ إلاَّ أنْ

استخدمَهُ في أبْوابِ الخَيرِ.. لذلكَ عَوَّضَ اللهُ عليهِ الشَّيءَ الأكثر..

وَقدْ قَرأتُ منذ فَترَةٍ في المَكْتبةِ العامَّةِ أنَّ (عبدَ الرَّحمن بنَ عَوف) تَصدَّق على عَهدِ رَسول اللهِ بِشَطْرِ مَالهِ أَربعة آلاف ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأربعينَ أَلفِ دِينَار ، ثُمَّ حملَ على خمسمئة فَرسٍ في سبيلِ اللهِ ، ثُمَّ حملَ على أَلفٍ وخمسمئة رَاحلةٍ في سَبيلِ اللهِ...!!

لذلكَ وردَ في أَسبابِ نُزولِ الآيةِ الكَريمةِ:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦١ ـ ٢٦٢].

قَالَ العُلماءُ: إنَّها نَزلتْ فِي عُثمَانَ بنِ عَفَّان ،

وعَبدِ الرَّحمَن بنِ عَوْف رضيَ اللهُ عنهمَا..

تَابعتْ (سُعاد) القَولَ:

وَلقدْ شَهدَ اللهُ لعَبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ بِذَلِكَ الإنفاقِ العَظيمِ ، وَردَّ على الذينَ حَاولوا تَشويشَ الصُّورةِ النَّاصعةِ ، فَقالَ اللهُ تَعالى وَهوَ يَردُّ على المُنافِقينَ الذينَ قَالُوا: إنَّ عبدَ الرَّحمن لعَظِيمُ الرِّياءِ ، قَالَ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٧٩ ـ ٨٠].

وَشَارَكَ رسولُ اللهِ في الرَّدِّ على أُولئكَ المُنَافِقينَ ، وذَلكَ عن طَريقِ تبيانِ الحَقيقَةِ ، وَقدْ

رَوَى ذَلِكَ ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُما ، قَالَ: إنَّ رَسولَ اللهِ خَطَبهم ذَاتَ يَومٍ ، وَحثَّ على أَن يَجمعُوا الصَّدقاتِ ، فَجاءَ عبدُ الرَّحمَن بنُ عَوْفٍ بِأربعةِ آلافِ درْهَم ، وَقالَ: كانَ لي ثَمانِيةُ آلافِ دِرْهمٍ ، فَأمسكتُ لِنفسِي وَعيالِي أَربَعةً ، وَهذهِ الأَربَعةُ أَقْرَضْتُها ربِّي عزَّ وجلَّ.

فَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَارِكَ اللهُ لكَ فِيمَا أَعطيتَ وَفِيمَا أَمسكْتَ».

فَكَانتْ نَتيجةُ إنفاقهِ الكَثِيرِ أَن فَتحَ اللهُ عليهِ الرِّزقَ الحَلالَ ، حتَّى كانَ يَقُول: وَماذا أفعلُ إذا كَانتْ دَعْوَةُ رَسول اللهِ قَدْ لحقتْني في كلِّ مَكانٍ ، حتَّى لَو أنِّي قلبتُ حَجراً في صَحْرَاء ، وَجدتُ تَحتهُ ذَهباً وفضَّة!!

السَّابقونَ إلى الإسْلاَمِ

وَفي هَذِهِ الأَثنَاءِ تَدخلُ (أُمُّ أحمَد) البيتَ ، فَلا

تَجِدُ إلاَّ أختَها (أُمّ سَعيد) تعدُّ الطَّبخَ ، وفي الصَّالون (الطَّبيب أَنور) وَقدِ اسْتلقَى على ظَهرِهِ ليرتاحَ من عَناءِ يومٍ طَويلٍ.

فَسَألتْ (أُمُّ أَحمَد): وَلكِن أَينَ الأَولادُ والبنَاتُ؟

فَأجابَتْ (أُمُّ سَعيدٍ): إنَّهم يَجْلِسُونَ فِي زاويةِ البُستانِ مُنذُ أكثرَ من سَاعتينِ.

فَقَالتْ (أُمُّ أَحمَد): هيَّا يا أَنورُ.. هيَّا يا أُختي.. تَعالَوْا نَذهبْ إليهِم.. لِنتناولَ جَميعاً بعضَ الفَواكهِ الطَّازجةِ.. وبَعضَ الحلويَّاتِ الدِّمشقيةِ التي حَمَلْتُها إليكُم مِن دِمشقَ..

وَبالفعلِ ، التحَقُوا بالجمَاعةِ.. وَتناوَلوا جَميعاً الفَواكِهَ والحَلوياتِ.. ، وَشَربُوا بَعضَ أَنواعِ المَشروباتِ البَاردةِ والحلوةِ..

وبعدئذٍ سَألَ (سَامي) قَائِلاً: ما هيَ حِكايةُ هذهِ اللَّيلةِ يا خَالتي؟

فَأجابتْ (أُمُّ أَحمَدَ): لا أَقولُ حتَّى تقولَ لِي: مَاذا كَانَ يدورُ الحَدِيثُ بينكُمْ؟

فَقالتِ (ابتهالُ): لقدْ كانَ الحديثُ يدورُ حولَ المَالِ ، أَهو حلالٌ أم حَرامٌ ، وَقد ضَرَبَتْ لنَا ابنةُ خالتِنَا (سُعادُ) أَمثلةً قيِّمةً موضِّحَةً ـ جَزاهَا اللهُ خَيراً ـ وتركَّزَ الحديثُ عن الغنيِّ الصَّحابيِّ (عبد الرَّحمنِ بن عَوفٍ) رَضِيَ اللهُ عنهُ..

أَحسنتمْ ـ قَالتْ (أُمُّ أَحمدَ) ـ وَبارَكَ اللهُ بكم اهتمامَكُم بِرموزِنَا التَّاريخيةِ ، فلقدْ كَانُوا بحقٍّ كَما وَصفهُم اللهُ تَعالى فِي القُرآنِ الكَريمِ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وأمَّا (عَبدُ الرَّحمن بنُ عَوفٍ) رضيَ اللهُ عنهُ، فكانَ أَحدَ الثَّمانيةِ الذينَ سَبقُوا إلى الإسْلامِ، وَأحدَ المبشَّرينَ بالجنَّةِ..

عَاشَ في العَهدِ الجاهليِّ، لكنَّه كانَ رَجلاً عَاقِلاً، حرَّم الخمرَ على نَفسهِ، حتَّى إنَّهُ كانَ ينشدُ فيهَا شِعراً فيذمّها وينتقصُ مِمَّنْ يتعاطاهَا، فَيقُول:

رَأيتُ الخمرَ شاربهَا مُعنَّى
بِرجعِ القَولِ أو فَصلِ الخِطابِ

وأمَّا قِصَّةُ إسلامهِ، فيحكيهَا هوَ عنْ نَفسهِ فَيقُولُ:

سَافرتُ إلى اليَمنِ قَبلَ مبعثِ رَسولِ اللهِ ﷺ بقَليلٍ إلى (عَسكلان الحميريِّ) وَكانَ شَيخاً مُعمّراً، فَقَد قالَ لي: انتسِبْ.

فقلتُ: أَنا عبدُ الرَّحمن بنُ عَوفِ بنِ الحارثِ ابنِ زُهْرةَ.

فَقَالَ: حَسْبُكَ يا أَخا زُهْرَةَ ، ألاَ أُبشِّرُكَ ببشَارةٍ ، وهيَ خَيرٌ لكَ من التِّجارةِ؟!

قلتُ: بَلى.

قالَ: أُنبئكَ بالمعجبةِ ، وأبشِّركَ بِالمرغِّبةِ ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قدْ بَعَثَ في الشَّهرِ الأوَّلِ من قَومكَ نَبياً ، ارتضاهُ صَفياً ، وأنزلَ عليهِ كِتَاباً ، وَجعلَ لهُ ثَواباً ، ينهَى عن الأَصْنَامِ ، وَيدعُو إلى الإسلامِ ، يَأمرُ بالحقِّ ويفعلهُ ، وينهَى عن البَاطلِ وَيبطلهُ.

فقلتُ: مِمَّنْ هوَ؟

قالَ: هُو من بَني هَاشِمٍ ، وأنتُم أَخوالهُ ، يا عبدَ الرَّحمنِ ، عَجِّل الرَّجعةَ ، ثمَّ امضِ ووازرهُ ،

وصدِّقْه ، ثمَّ حمَّلنِي بعضَ أبياتٍ لأنشدهَا أمامَ رَسولِ اللهِ ﷺ.

وَتابعَ (عبدُ الرَّحمن) رضيَ اللهُ عنهُ قَائِلاً: فلمَّا قدمتُ مكَّةَ ، لقيتُ صديقِي أَبا بكْرٍ ، فَأخْبَرْتهُ الخَبرَ.

فقالَ: إنَّه محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، فانطلقتُ معهُ إلى بيتِ خَديجةَ رضيَ اللهُ عنهَا ، فلمَّا رآني ضحكَ وَقالَ:

«أَرى وَجهاً خَليقاً أرجُو لهُ خَيراً» فَأسلمتُ وَتشهَّدتُ أمامهُ ، ثُمَّ أَنشدتهُ شعرَ عَسكَلان ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «رُبَّ مُؤمنٍ بي ولمْ يرنِي ، ومُصدّقٍ لي وما شَهِدَني ، أولئكَ إِخواني حَقاً».

فِي رِحَابِ المكَارمِ والفَضَائلِ

وَهكذَا تحمَّلَ (عَبدُ الرَّحمنِ) ألوانَ العَذابِ ،

وهاجرَ إلى الحَبشةِ مَرَّتينِ، ثمَّ هاجرَ إلى المدينةِ المنوَّرةِ، وآخَى رَسولُ اللهِ بينهُ وبينَ (سَعدِ بنِ الرَّبيعِ) رضيَ اللهُ عنهمَا.

وَفي المَدينةِ شهدَ المَشاهِدَ كُلَّهَا معَ رَسولِ اللهِ: بَدراً وأُحداً والخندقَ وتبوكَ..

وقدْ صلَّى رسولُ اللهِ خلفهُ في غَزوةِ تَبوك، وهذهِ منقبةٌ فريدةٌ لمْ يَحْظَ بهَا إلا الصِّدِّيقُ أبو بكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ..

فَهنيئاً لكَ يا عبدَ الرَّحمنِ.. يا منْ شَهدتَ بيعةَ الرّضوانِ... ويا منْ بَشَّرَكَ اللهُ بالجَنَّةِ، ويا مَن أنفقتَ جُلَّ مالكَ في أوجهِ الخَيرِ.. ، ويا من كَانوا لا يعرفونكَ بين عَبيدكَ ، من شِدَّةِ تَواضُعِكَ!

فَوداعاً وَداعاً..!!

وبعدَ انتقالِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الرَّفيقِ

الأَعلى ، حافظَ (عبدُ الرَّحمنِ) رضيَ اللهُ عنهُ على الخَطِّ ذاتهِ ، فكانَ المُستشارَ الأمينَ لصاحبهِ أبي بَكْرٍ ، وتابعَ إنفاقَ المَالِ في أوجُهِ الخَيرِ..

وَفِي زَمنِ الفَاروقِ عُمَر رضيَ اللهُ عنهُ ، قرَّبهُ إلى مجلسهِ ، وكانَ يأخذُ بِرَأْيِهِ فِي أَعضلِ الأُمورِ ، وكانَ يُطلقُ عليهِ: العَدلَ الرضيَّ..

وعندمَا طُعِنَ عُمرُ رضيَ اللهُ عنهُ جعلَ (عبدَ الرَّحمنِ) أَحدَ الأشخاصِ الستَّةِ ، وقامَ بِدورٍ عَظيمٍ في اختيارِ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ.. ، وفي سنةِ (٢٢) اثنتينِ وَثلاثينَ من الهِجرَةِ ، فَارقَ (عبدُ الرَّحمن) الدُّنيا ، فصلَّى عليهِ عُثْمانُ ، ودُفِنَ في البَقيعِ... رضيَ اللهُ عنهُ وأَرضاهُ..

وآخرُ دَعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ